جامعه الملك سعود
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
مجلة الآداب
ردمد (ورقي):3620 – 1018
ردمد (النشر الالكتروني): 8339-1658

King Saud University
College of Humanities and Social Sciences
Journal of Arts
ISSN (Paper):1018-3620
ISSN (Electronic):1658-8339

مجلة *الآداب*، مج (35)، ع (1)، ص ص 89-104، جامعة الملك سعود، الرياض (2022م/1444هـ)
Journal of Arts, Vol. 35 (1), pp 89-104, © King Saud University, Riyadh (2022 /1444H.)

الصورة الإيجابية للمرأة في رواية (غواصو الأحقاف) لأمل الفاران

منى بنت صالح الرشادة
أستاذ الأدب والنقد المشارك، قسم اللغة العربية، كلية الآداب، جامعة الإمام عبد الرحمن بن فيصل، السعودية
(قدم للنشر في 2/22 /1444هـ، وقبل للنشر في 5/21 /1444هـ)

الكلمات المفتاحية: إيجابية، رواية، صورة، قوية، المرأة.
ملخص البحث: كانت المرأة وما زالت أيقونة لا يمكن الاستغناء عنها في الفن الأدبي، وقد ظهرت في تشكلات مختلفة، (المرأة المستسلمة، والمرأة المتألمة، والمرأة السلبية، والمرأة الإيجابية) بطرق فنية تكشف عن عالمها الخاص، انطلاقا من هذه التشكلات المختلفة للمرأة وقع اختيار موضوع الدراسة صورة المرأة الإيجابية، تحت عنوان (الصورة الإيجابية للمرأة في رواية "غواصو الأحقاف") للكاتبة السعودية أمل الفاران.

ويهدف هذا البحث إلى الإجابة عن سؤالين، هما:

-ما صورة المرأة الإيجابية في رواية (غواصو الأحقاف)؟

-كيف تجسدت صورة المرأة الإيجابية في هذه الرواية؟

بوساطة القراءة العميقة الفاحصة للمنجز السردي النسوي السعودي؛ سعيا إلى الوقوف عند تصوير واقع المرأة والرجل والعلاقة التي تربط بينهما، والتعرف إلى القضايا الاجتماعية، والأوضاع التي تعيشها المرأة، بهدف كشف صورة المرأة التي تتجلى فيها قوتها أمام الآخر؛ ولتحقيق هدف البحث اعتمدت الدراسة المنهج الموضوعاتي مع الاستعانة بالمنهج الوصفي.

Positive Image of Women in Ġawwaṣuu Al-Aḥqaaf (Al-Aḥqaaf Divers) by Amal Al-Farran

Mona Saleh Al-Rashada

Associate Professor of Literature and Criticism, Department of Arabic Language, College of Arts, Imam Abdul Rahman Bin Faisal University, Saudi Arabia

(Received: 22/2 /1444 H, Accepted for publication 21/5 /1444 H)

Keywords: positivity, novel, image, strong, woman.

Abstract. Women have been, and remain, an indispensable icon in the literature and have appeared in various formations (e.g., submissive, suffering, negative, and positive) in artistic ways that revealed her own world. Based on such formations, the positive image of women was chosen for pursuit, under the title positive image of women in Ġawwaṣuu Al-Aḥqaaf (Al-Aḥqaaf Divers) by Amal Al-Farran. The research aimed at answering two questions: what is the positive image of women in Ġawwaṣuu Al-Aḥqaaf (Al-Aḥqaaf Divers)? How was the positive image of women embodied in this novel? This has been accomplished through a scrutinizing and deep careful reading of the Saudi female narratological products, in order to depict of the reality of women and men and their relationship and to explore social issues and conditions experienced by women, with the aim of revealing the image of woman whereby her strength is manifested to others. To reach this research goal, the study utilized majorly the thematic approach and minorly the descriptive analytical approach.

المقدمة:

حظيت المرأة بمكانة مرموقة في العمل الروائي، فهي عنصر بارز في الأعمال الإبداعية الروائية التي تعبر عن فكر الكاتب، ومحرك أساس للأحداث الروائية، ولها حضورها الإنساني المميز، وتفردها الأنثوي اللافت في العمل الروائي، وهو حضور يمد الروائيين بمادة غزيرة لها معطى جمالي واجتماعي؛ لذا أصبحت المرأة أيقونة لا يمكن الاستغناء عنها في الخطاب الروائي القائم على العلاقات البشرية بين الرجل والمرأة، ولأهمية مكانة المرأة في العمل الروائي؛ انعقدت الهمة على كشف صورة المرأة في الرواية النسوية السعودية، وقد كان هدفنا توضيح صورة المرأة الإيجابية، ودورها في توجيه مجمل الأحداث، وتلمس ملامحها في رواية (غواصو الأحقاف) لأمل الفاران[1]، والجدير بالذكر أن هذا البحث سبق ببعض المقالات، وببحثين:

–البحث الأول: "تجليات الألم في رواية (غواصو الأحقاف) لأمل الفاران قراءة في سلطة الرجل والمكان" بحث منشور في مجلة الآداب جامعة الملك سعود-1441هـ، للباحثة أمينة عبد الرحمن الجبرين، سعت هذه الدارسة إلى كشف بنية الألم الذي يتلبس الشخوص، واستشراف دلالتها المتنوعة في الرواية، ولم تتطرق تحديدا إلى صورة المرأة الإيجابية، وهذا توجه مغاير لهدف البحث الحالي الذي يسعى إلى تلمس الجوانب الإيجابية للمرأة في الرواية.

–البحث الثاني: "الصحراء والرواية النسوية السعودية" بلقاسم زوقار بحث منشور في مجلة آفاق، 2020م، يتناول الكاتب الصحراء في رواية غواصو الأحقاف بوصفه نموذجا لتجليات الصحراء في الرواية السعودية النسوية، وفيها تناول الكاتب المكان الصحراوي، وجماليات التدفق السردي في الرواية، ذاكرتها، ولغتها، وشخصياتها، وهذا البحث يغاير البحث الحالي، الذي يهتم بكشف صورة المرأة الإيجابية في الرواية.

ولإيضاح صورة المرأة الإيجابية طرحت الإشكاليات، التي تكشفها الأسئلة الآتية:

ما التشكّلات التي صاحبت حضور المرأة في الرواية محل الدراسة؟ هل هي صورة نمطية تقليدية سلبية أو صورة جديدة إيجابية؟

كيف تجلت الصورة الإيجابية للمرأة في رواية غواصو الأحقاف؟

وتفترض الإجابة عن هذه الأسئلة اتباع المنهج الموضوعاتي مع الاستعانة بالمنهج الوصفي.

ولتحقيق أهداف البحث انتظم في **تشكلات عدة** تكشف الصور الإيجابية للمرأة على النحو الآتي:

الأول: الحكمة والرزانة والعقل.

الثاني: العزيمة والشجاعة والإرادة القوية.

الثالث: الثقة بالنفس والعمل وتحمل المسؤولية.

الرابع: الأنوثة والجمال واللباقة في الحديث.

سبقتها المقدمة والتمهيد، وتلتها الخاتمة وتضمنت النتائج، ثم ثبت المصادر والمراجع.

التمهيد:

يقدم هذا البحث - الموسوم بـــ (**الصورة الإيجابية للمرأة في رواية غواصو الأحقاف**) قراءة في المنجز السردي النسوي السعودي/ رواية (غواصو الأحقاف)، للروائية أمل الفاران، "قراءة تستلزم استحضار حدس المتلقي لخلق قراءة متأنية للنص" (الجبرين،2020 :74). تتجاوز القراءة السطحية إلى قراءة أكثر عمقا تكشف دلالته الخفية وأبعاده الجمالية.

وعند تتبع رواية (**غواصو الأحقاف**) يجد القارئ أنها "رواية أشخاص لا رواية أحداث، فعلى الرغم من التشكلات المختلفة والممتدة لأجواء الحرب على شخصيات الرواية، إلا أنها تنبني على تمظهرات ذات دلالات مستترة تشكل منفذًا معرفيا لقراءة تأويلية دلالية مغايرة" (الجبرين،2020 :74).

تأخذنا الكاتبة (أمل الفاران) في روايتها إلى واحة العقيق، إلى عوالم شديدة الحميمية، تستحضر أزمنة مضت، ومرجعيات اندثرت حيث (النخيل، والبحر، والصحراء)، (صبري، 2004 :16)، التي كان لها حضورها القوي بوصفها مفردات للهوية في ذلك الزمن، إذ تجتمع قبائل (آل هذال وآل فواز وآل بنيان) وهي كتابة أشبه بتوثيق الحياة لمرحلة ما قبل النفط في منطقة الخليج العربي (المخضب، 1443) عالم الغوص وأسراره بسرد بارع، ولغة رصينة مالت فيها الكاتبة نحو صناعة الصور المشهدية؛ لتخلق تفاصيل رواية مختلفة تماماً، تناولت فيها حقباً تاريخية وعلاقات اجتماعية، وأسرًا وشخصيات سكنت الصحراء، وصورت كيف كان الناس يقضون أوقاتهم في السمر والأفراح والأتراح والخوف والجوع، بل حتى الحروب وأبطالها وضحاياها، وما أنتجته من مرويات خلدها التاريخ، وقصص العشق والحب والقيم والأخلاق التي سادت. وتلتقط الرواية في إحكام شديد حكايات الأساطير والغرائبيات التي تبرز فرادة إنسانها، خاصة أساطير "كثبان الأحقاف" بممالكها البائدة من إنس وجنّ، لتنسج منها سرداً شيقاً يشبه جمال الصحراء (علاء الدين، 2020). و" من المعروف أن عصر ما قبل النفط في

---

(1) كاتبة سعودية، حصلت على بكالوريوس تربية تخصص اللغة العربية، عملت في التعليم العام عشرين عاما، صدر لها مجموعتها القصصية" وحدي في البيت" عام 1999م، وصدرت روايتها الأولى "روحها الموشومة به" حصلت على جائزة الشارقة للإبداع العربي 2004، ولها رواية "كائنات من طرب" عام 2008 عن دار الآداب اللبنانية أما روايتها الثالثة فهي "غواصو الأحقاف "صدرت عام 2016 عن دار جداول السعودية، وصدر لها مجموعتها القصصية الثانية" الفتاة التي لم تعد تكبر في ألبوم الصور "عام ٢٠١٩ عن دار أثر السعودية، وصدر لها رواية الرابعة "حجرة" عام ٢٠٢١ صدرت عن دار أثر، كتبت لفترات متفرقة في عدد من الصحف السعودية ، شاركت في بعض الأمسيات القصصية والأنشطة الثقافية. ينظر: مدونة أمل الفاران http://www.amalfaran.com

الدولة كانت المرأة صنو الرجل.. بل كانت هي التي تقوم بكافة الأعمال الاقتصادية والاجتماعية بالمجتمع وأثناء غياب الرجل في البحر وراء الصيد والبحث عن اللؤلؤ، بالتالي كان لها القرار في الأمور الهامة بحياة الأسرة" (صبري، 2005 :42).

رواية مدهشة حقا وأحداث لافتة جدا، تجعل قارئ الرواية يعيش الشخصيات كأنه يشاهد عملاً سينمائياً، استخدمت فيها أمل الفاران عددا من تقنيات الرواية الحديثة، وبرعت في وصف الأحداث، وتوظيف الشخصيات، بأسلوب رشيق، ولغة أقرب إلى الشاعرية، ولعل في ذلك نقلة في عالم السرد السعودي، من حيث الصناعة الجمالية، والسرد الذي يغوص عميقاً في تفاصيل المكان، ويطل بصورة خاصة على عوالم المرأة في تلك الأزمنة، فشكلت المرأة محورا أساسيا في بناء الرواية (علاء الدين 2020)، ولعل الكاتبة تنطلق من حقيقة مفادها "أنه لا يمكن تصوير الواقع تصويرا صادقا في الرواية إذ لم تكن بها امرأة" (أديب، 1982 : 214). لذا نجدها تستند في عملها الروائي إلى المرأة، فعدد بطلاتها يفوق عدد أبطالها، تستحضر شخصية المرأة في تعاملها مع الرجل، ومع المرأة على حد سواء بأشكال مختلفة، وصور متعددة من واقع المجتمع، ونمط الحياة، صورتها تصويرا أمينا بدقة وبحرية تامة عكست حزنها وفرحها، قوتها وضعفها، إيجابياتها وسلبياتها (الصمادي، 2018، :249)، وسيتجاوز البحث الصورة النمطية للمرأة، تلك الصورة المتمثلة في المرأة المتلقية، والسلبية، والمهانة، والمقهورة، المغلوبة على أمرها، إلى صورتها الأخرى التي تحضر فيها إيجابية وقوية ومهيمنة، صورة غريبة عن المألوف لدى الروائيات، تلك هي "صورة المرأة بشكل إيجابي وفيها يتغزل الأخ بقوة أخته، ويفخر الجار بحكمة جارته، لقد استطاعت الكاتبة أن تظهر جوانب خفية عن دور النساء في بيئة الصحراء"(علاء الدين، 2020)، وهذا كله "لا يمكن إلّا للمرأة الكاتبة أن تعمل على تغير هذه النظرة، ولذلك انخرطت في الكتابة الإبداعية بصورة أو بأخرى لتقدم لنا صورة أخرى للمرأة" (المدغري، 2009 :10) - مما يشي بأن الكاتبة" تنطلق من ذاتها لا من المعايير" (معتصم، 2004 :133) - وقد كان لهذه الصورة تأثير واضح في سير الأحداث في الرواية، ودفع حركة الحياة في بيئة الصحراء، تنكشف هذه الجوانب الخفية في نماذج عدة بسيناريوهات مختلفة.

وتتجلى صورة المرأة الإيجابية في الرواية موضوع الدراسة في تشكلات عدة، هي:

- العزيمة والشجاعة والإرادة القوية:

العزيمة والإرادة سمة إيجابية وهي من أبرز سمات شخصية المرأة القوية، التي لا تنكسر ولا تنحني أبدا أمام المحن والعقبات، وتطمع بإرادتها إلى خلق واقع إيجابي، فهي قادرة على التحدي وتخطي ما يواجهها في رحلتها مع الحياة، وانخراطها في المجتمع، وهي القادرة على الوقوف إلى جنب الرجل، ومساندته ومشاركته ومؤازرته في معترك الحياة.

وتحضر هذه الشخصية القوية في شخص (أم جابر) زوجة صالح التي ترملت قبل أن تبلغ الأربعين من عمرها فواجهت موته وتحملت فراقه بقوة وصرامة وتحدٍ، وتغلبت على أعراضها الصحية، وأمراضها الجسدية دون أن تئن أو تضعف:" **فترك الموت في جسدها بصمة الأرامل اللاتي فقدن رجالهن بعد مرض قصير، النساء اللاتي رأين الموت في معركته الصعبة مع الجسد البشري، فاقتنعت أن مواجهة كهذه يمكن تأجيلها كثيراً ويمكن أن ينتصر الجسد البشري فيها. انشغلت مذ مات صالح بإبراز قوتها، تتعامل مع أي عارض صحي بعناية بالغة وكأنه الطعنة الأولى في مبارزة طويلة يجب أن تتصدى لها بطاقتها كلها، ولا يجب أن تئن ولو للحظة**" (الفاران، 2016 :10).

تستخدم الساردة تقنية الوقفة الوصفية؛ لتكشف عن صورة من صور المرأة الإيجابية، وتسردها بأحداث متوالية، حيث تتعرض الشخصية / أم جابر لمأزق اجتماعي - يخلخل الأمان الاجتماعي الذي كانت تعيشه برفقة الحبيب- وجعلت الساردة من موت الزوج وغيابه سببا قويا في صراع نفسي يتجاذب أم جابر، ويدفع بها إلى البحث عن حل تخرج به من أزمتها وضعفها إلى إبراز قوتها وقدرتها على تحمل المسؤولية.

وتقنية الوقفة الوصفية تقودنا إلى تقنية المشهد تعطل به الساردة حركة الزمن في سرد الرواية، وتضفي نوعا من الواقعية على النص، وتفسح المجال لـ(أم جابر) للحديث والحوار مع جابر وإثبات عمق تحملها للمسؤولية بعد موت زوجها، وتبرز عن طريقه قوة شخصيتها في قدرتها على إقناع ولدها جابر بالزواج والارتباط بابنة خاله:" **ترفع الأم رأسها وتكرر أمر فتاها، ثم تفكر بما قد يجعله يرجع أسرع من رفاقه فتهمزه: أمس كان عند آل بنيان عرس.. حضرته وحلفت إنك بعد أن ترجع من الغوص سندخلك على بنت خالك.. ومضى مني نذر يا جابر بأن أرقص في عرسك ثلاث ليال**" (الفاران، 2016 :36).

وفي مشهد آخر من المشاهد السردية تحضر صورة المرأة الشجاعة في شخصية (نفلا بنت صالح). ميزت الكاتبة هذه الشخصية بقوة حضورها في المتن الروائي شخصية فذة تُفاجئ المحيطين بها، كما في حوارها مع خالها، حديث صريح يكشف عن عدم وجلها وخوفها منه، وقدرتها على قول الحق دون تردد أو خشية من لومة لائم:" **بين كلام الخال الخانع وبين رمحه الطويل يشوش بيت آل صالح كله، تبكي الأم مع أخيها، ويحتد صوت نفلا نيابة عنها: لو عرفنا أمر بتلا عند ولد عمها خطبناها منه. توجع المسن بالكلمة فيشج ويقبل رأس شقيقته: العذر والسموحة يا أختي**" (الفاران، 2016 :77).

كما تحضر الإرادة القوية في مشهد حواري بين نفلا وأمها، يتجلى في موقفها من الزواج من (عموش) وقرارها الموافقة على خطبته، وترحيبها بالزواج من

هذا الحبيب الذي لم تكن حديثة عهد به، وردها لأمها حينما عرضت عليها استشارة أخيها " **اسمعي منه، لكني موافقة**" (الفاران، 2016 :96).

كذلك تبرز شخصيتها القوية في مقطع آخر يحوي وقفات وصفية لنفلا مع قطيع الشاة، يعضده مشهد حواري تعطل الساردة بوساطته حركة السرد وتُبَطِيء وتيرته. حوارها مع أم عموش وحديثها معها، وبوحها لها عن علاقتها مع ابنها عموش بعد الزواج، وعدم اهتمامه بها وقهرها لها بتهميشه إياها وإهمالها، وهي التي عُرف عنها الجمال والدلال اللذان يزيدان جمالها جمالا بالاهتمام والعناية بجسدها الأنثوي:" **تدنو نفلا من القطيع فيثور غبار روثه في وجهها، تنظر لحظات حتى يعتاد القطيع وجودها، تختال الشاة حتى تقبض على كراعها، تُغاؤها العالي هدأ وبنت صالح تمسح ضرعها، تحلبها وتهمس لها أم عموش: لا يشغلك حكي النساء يا بنت صالح.. بغضب من الكلام كله تقاطع نفلا: كبد ولدك تغير يا عمة، النشيد الذي كان يصلني في حيي لم أعد أسمع منه كلمة في الروشن.. ولدك التاجر يبخل عليّ بكلمة تطيب خاطري.. أنا زينة وأتزين، وأحبه وأدري أنه يحبني.. لكني أحتاج أن أسمعها.. فإن كان سيذهب كل يوم ولن أعرف إلا من القيان فعليه أن يقول لي أكثر. تنفث نفلا آخر أنفاس حنقها: ليس هذا ما تقوله أم فيحان عنه**" (الفاران، 2016 :129).

وعي نفلا بكيانها الأنثوي بعد ولادة ابنتها (سلمى)- وحاجتها للقاء الحبيب الطبيب لأوجاع الحياة- دفع بها إلى مجابهة الرجل/ زوجها بعد عودته من السفر، ومصارحتها له بكل قوة وشجاعة عن تعجبها من برودة سلامه لها بعد طول فراق، وسيل من الأشواق **"عبر نخيل آل صالح، ورفع صوته بأول البيت، أدخلته أم جابر حجرة الحبيبة... قبل عموش الممهودة، ثم قبل رأس نفلا. تميل بنت صالح رأسها وتفحص الواصل من السفر هذا سلامك بعد غيبة، وبعد أشرفت على الموت!!**"(الفاران، 2016 :219).

هذا الإحساس الأنثوي بالتهميش وعدم الاهتمام، والتسلط من قبل الرجل/ عموش على الكيان الأنثوي دفع بالمرأة / نفلا لتمارس قوتها بكل عزيمة وإصرار، فحين ضربها وأوجعها، وقهرها بضربه لها جابهته دون خوف وبشجاعة وقوة، متمردة على قهره، محاولة الانعتاق من ألم التهميش بقولها: **ما هذا بفعل رجل!:" كانت المرة الأولى التي يمد فيها عموش يده عليها، لم يوجعها ضربه، أوجعها إحساسها بالغربة عن كل من حولها، روشنها كان المكان الوحيد الذي تحبه في وثيل، واليوم يلوثه عشيرها وهو يظن أنه يؤدبها. لم يعد الصمت ضيفا استثنائيا في الروشن، صوت عموش كان الغريب حين قابلها بعد ليلتين وأخذ يدها: نفلا أنا رجل إذا ضقت. نزعت يدها منه، ثم مهدت جسدها في ملحفها، وبترت عذره بين لسانه ورفضها: ما هذا بفعل رجل!**" (الفاران، 2016 :232).

إرادتها القوية وعزيمتها دفعتا بها إلى التصدي، ومواجهة الألم العاطفي، وتحكيم عقلها لاتخاذ الحل الأنسب الذي يحفظ مكانتها، وحب زوجها وعشيقها في نفسها، تختار الانعتاق من قيد معاشرة عموش، وتطلب الطلاق والخلاص والحرية أمام جموع الرجال، حلا بعد أن سقطت مقومات الحياة الزوجية مع الحبيب الذي أحبها قبل الارتباط بها، ومارس معها سلطة التهميش بعد زواجها والاقتران بها، فقررت مصيرها الإيجابي عبر فعل الحرية، فطلقها مرغما:" **اقتحمت المجلس، انخرس صخب رجاله، ارتعش جسدها كله، وغشاوة على عينها تعمي بحثها عن صاحبها، طأطأ عموش حين انسكب ظلها على كتفه، بردت عظامه وهي ترمي مقنعتها في حجره: " طلبتك فلا تردني".. رفع عموش قناعها ... رفع رأسه والحسرة بحلقه الجاف تشقه: طلبك مجاب يا أم سلمى.**

-رقبتي.

-أنت طالق" (الفاران، 2016 :240).

عرضت الساردة المقطع السابق معتمدة على تقنيتي الوقفة الوصفية والمشهد الحواري؛ لتمنح المرأة/ نفلا شرف القدرة والشجاعة في رفض الرجل، واتخاذ قرارتها المصيرية في البعد عنه بعد أن رأت أن الحياة لم تستقم، وأن العشرة لم تعد مناسبة معه.

كما تمنحها القوة في مواجهة تقاليد المجتمع الذي يرى الطلاق عارا وعيبا يلاحق المرأة، إذ لم تسكت عن الظلم خوفا من نظرة من حولها، إنما أخذت رخصة الدين الإسلامي الذي أنصف المرأة وصان كرامتها، ومنحها حق إمكانية إلغاء ميثاق الزواج، إذا أصبح استمرار الحياة الزوجية فيه مشقة وعنت. وقفت بكل عزيمة وإصرار وشجاعة وسط جموع القبيلة، وطلبت الطلاق بعد أن أصبحت الحياة بينها وبين الرجل/ عموش من الصعوبة بمكان.

كذلك تبرز قوة شخصيتها في مشهد ردها على (أم فيحان) زوجة والد عموش التي تناصبها العداء منذ دخولها قصر وثيل، وكثيرا ما كانت تؤذيها بكلامها الجارح: **"بعد العصر على السفح اخترقت حلقتهن، لم تسلم ولم ترج التحية. بركت على الأرض ترسم بسبابتها دائرة حولها، أهالت التراب في حجرها ونظراتها النارية على أم فيحان: ذا على رأسي منك يا عمة؟! منذ أن دخلت وثيل وأنت تتبعينني بكل كلمة توجع. ولا يردك عن غيك شيبك (عند هذه الكلمة شدت عمتها مقنعتها على شعرات مصبوغة بالحناء في ناصيتها) تضم أم عموش زوجة ولدها وتلجم فاها مقسمة ألا تثني ما قالت بكلمة**" (الفاران، 2016 :234).

كما تظهر الشخصية القوية في شخصية (أم خفرة) وقد أتت الساردة بها ؛ لتحرك بها الأحداث وتتمم المشاهد الروائية بها، وتظهر هذه الشخصية الشجاعة في مشهد عتابها لزوج ابنتها ولومها له، بل ونهره لسوء تعامله مع ابنتها، وعدم احترامه وتكريمه لها، والقيام بحقوقها الزوجية، وتصرح أم خفرة بكل قوة وشجاعة عن سخطها من عرس ابنتها، وهي ذات المزايا الحسنة، والأصل الطيب، ودخولها بيت زوجها حين قادها والدها

دون أن يسبقها ظعن، ويرافقها طبول الفرح كباقي البنات:" **والله لولا عهد مضى من أبيها لما رضيت لابنتي عرساً لا يسبقها في ظعن، ولا ترافقها فيه البنيانيات كلهن. ثم تسرد مزايا خفرة: بنتي عقل وزين وطيب أصل.. يقبل رأسها وهو يؤمن على كلامها، لكن الوصايا التي بدأت عامة توغلت بعد لحظة في التفاصيل لتفصح عن اتهام للعريس: أمك تلوم ابنتي إن بهت الحناء في كفها أو باخ الطيب في مقنعتها.. ولا تدري تضعه لأمك لا لك.. لا تسترخص ابنتي يا بن صالح.. إن كنت تريد خفرة فما هذا بفعل من يريد امرأة، وإن لم يكن لك بها حاجة فبيت أبيها أولى بها"** (الفاران، 2016 :99).

وشخصية (خفرة) شخصية ثانوية تصعد الأحداث بحوارها مع زوجها، تلك الأنثى الصغيرة شخصية قوية شجاعة تواجه العنف الذكوري من زوجها، وتتصدى لتهميشه لها ببوح عال دون خوف أو وجل، أو إضمار لمشاعر القهر والألم في نفسها:" **أطبخ لك كل يوم، وتدخل رأسك في الإناء حتى تنهيه، لا سمعْت مدحًا ولا ذما"** (الفاران، 2016 :143).

أما شخصية (فرجة بنت راشد) ففيها انعكاس لأثر الصحراء، كأبرز مثال لصورة المرأة القوية ذات الشجاعة والإقدام، التي بوساطتها صعَّدت الفاران أحداث الرواية، يتجلى فيها قوة أناس الصحراء في مقاطع عدة، من ذلك وقوفها بجانب جابر والدفاع عنه، ومؤازرته، متمردة على تاريخ خنوع المرأة، وقد اهتمت الساردة في لمح أوصاف شجاعتها تطيح بخصمه أرضا دون رمح أو سيف إنما هو عظم جيفة به تثبت جدارتها، وتحرك سير الأحداث في الرواية، إذ أصبحت حديث القوم: **"قبل أن يبتعد رأى هذالية على ناقة نافقة، تنزع منها عظماً، روعة بياضه في يدها وهي تهوي به على هامة ابن الشيخ فتفلقها، يراه يخر على غريمه لتختلط دماؤها"** (الفاران، 2016 :162).

تتابع (الفاران) سرد أحداث قوة وشجاعة (فرجة) التي يعجز عنها الرجال الفحول في مشهد حواري بين رجال القبيلة **"اتسعت حدقتا جمعان، واستعاد الجملة متمنياً أن يكون ما سمعه صحيحاً: يا عم (عدل ذا الحكي أو بدله) امرأة اصابته؟ يقول إنه رد ثلاثة عن البئر.. وألحق بهم آخر ضحى الغادرة. عند بئر هادي لمحتهم أنا أولاً، وناديتهم ثم رميت أحدهم ورماه معي، ولم نعرف من أصابه.. أما ضحى الغارة فلم يكد يرمي طلقة، طعن جابراً برمحه فهجمت عليه الهذالية وطرحته"** (الفاران، 2016 :16).

وتستمر الأحداث في كشف قوة (فرجة) وشجاعتها بوساطة مشاهد حوارية مختلفة، شكلتها الساردة لتحرك بها سير الأحداث ببطىء، وقد جعلت منها (الفاران) مصدر فخر واعتزاز من صديقتها (نفلا)" **تبتسم بنت صالح لم تستغرب هذه الشجاعة من صاحبتها، وتسترعي الحكاية اهتمام أم فيحان فتستزيد الماشطة لتسألها عن سلاح الفحلة. – لا بندق ولا رمح.. ما كان بيدها غير عظم بعير (أو ناقة تستردك) وكلما هوت به على جهة طرحت بنيانيًا." تشعر نفلا بقشعريرة فخر واسم صديقتها يقطر على لسان مسيكة، تتناول فنجانا قريبا فتكسره: هذ لعين بنت راشد"... تدخل بيت آل راشد وهي تنادي:"ياحي فرجة ياهلي منّا" تقابلها الفتاة فترقص نفلا وتغني"** (الفاران، 2016 :164).

وليست القوة النسوية مصدرَ فخرٍ واحتفاء من المرأة / نفلا فحسب، بل بها تطاير كبارُ رجال قبيلتها أيضا، فهي وحدها تستحق المدح والإجلال، والثناء: (تستاهل بنت راشد) **"كان هذا بيان القوم فيما حدث، فلا واضح في الغارة إلا فعل بنت راشد وهي وحدها تستحق الثناء، سكت جمعان بالنشيد عن شافي حتى غنته أمه عنده، سألته عنه فلم تنسبه لأحد. ويستمر حدث الثناء والمدح يلازم اسم فرجة بنت راشد الهذالية"** (الفاران، 2016 :162). **اجتمعت ألسن عند مريفة ونسجت أبياتا في الهذالية مطلعها: " يا ليت فرجة يا هلي منّا نجعل لها فعل تماري به" كان هذا بيان القوم فيما حدث، فلا واضح في الغارة إلا فعل بنت راشد وهي وحدها من تستحق الثناء"** (الفاران، 2016 :162).

ولهذه المرأة / فرجة الشخصية الفذة يفز الرجال للترحيب بها، ويتسابقون في ضيافتها:" **تقرر فرجة أن تزور حيها ... يفز لها الرجال ويتلقاها جابر وهو ينشد يا مرحبا ... يتحاشى رجال الحي ذكر آل فواز أمامها ويأخذونها للمجلس يحيي أحدهم ناره، ويطبخ آخر قهوة، يمدونها بفنجان**.." (الفاران، 2016 :244).

وتقدم الولائم إكراما لها، في مجالس ترتفع فيها الأصوات بالدعاء لفرجة بالتوفيق، وبالرحمة لوالدها راشد: **"يولم جابر للحي على سلامته من الضربة لم تكن عميقة، وإكراماً لفرجة يقدم ذبيحته في مجلس آل راشد، على الوليمة ترتفع أصوات الرجال لتسمع فرجة وأمها دعوات لها بالتوفيق ولأبيها بالرحمة"** (الفاران، 2016 :166).

وتتجلى القوة والشجاعة كذلك في موقف (فرجة) وصنيعها مع الرجل الذي يتابع نساء العقيق، ويتلفظ عليهن بألفاظ لا تليق:" **سألتها فتعففت نفلا من أن تخبرها عن الخسيس الذي يتلصص عليهن في الخلاء ويسمعهن من الكلام ما لا يليق، قالت يردن مكانا أستر. لم تقبل فرجة هذه الاستهانة بذكائها: به غير ذا الحكي أو ألحق بهن. أما إصرارها اعترفت لها: " مقطوع نصيب". كأنه محارب الشمس يتبعهن في كل مكان، وكلامه رخيص.**

– أفا!

سألتها العروس ماذا يجب أن أفعل؟

تبسمت بنت صالح: اضربيه.

هوت يدها على عنقه، ظنها رجلا لكنه عرف الهذالية الفحلة فسقط قلبه في أحشائه، في لحظة عقلت إحدى يديه ورجله بعمامته، يرفس في مكانه وركبتها على صدره تطلب منهن حبلا. بتردد مددنها بالحبل فسحبته عند شجرة سلم ثم ربطت يده الأخرى في

جذعها، وقفت لحظة وهو يهددها فشقت ثوبه من جيبه، صاحت الفوازيات ... رجونها أن تطلقه، وضبح هو كشاة متعهدا بألا يلحقهن مرة أخرى" (الفاران، 2016 :214).

شخصية (فرجة) تمثل صورة واقعية للمرأة البطلة في مجتمع الصحراء، المرأة الشجاعة التي تكافح وتناضل مع الرجل في بيئة البادية، ولا تخشى الموت وتواجه مصاعب الحياة بشجاعة؛ لتبقى السند الأقوى لأسرتها ومجتمعها، وبتعاضدها مع الرجل يسود الأمن، وتستقر الحياة.

وإذا ما حدقنا في المقاطع المذكورة وجدنا مقاطع سردية متوالية، نجد مقطعا بعد مقطع تتوالى الأحداث فيها بكل تفاصيلها وجزئياتها من خلال الحوار بين الشخصيات والوقفة الوصفية.

اتقنت الفارن سردها، وكشف تفاصيلها، وقد تدخلت في تكوينها، وأسقطت بوساطتها ما يدور في خلجها من رؤى وأفكار اجتماعية على شخصياتها؛ تسرد الحكايات، وتعطل الزمن فيها عن طريق الحوارات الساخنة، والصراعات بين شخصياتها؛ والوقفات الوصفية؛ لتؤكد حضور الذات الأنثوية في الفضاء دون أن تعبأ بعيون الآخرين التي تحتل ذلك الفضاء، وتغتال حقها، بوساطة شخصياتها الرئيسة والثانوية (نفلا وفرجة، وأم جابر، وأم خفرة..).

- الحكمة والرزانة ورجاحة العقل:

المرأة القوية تتزين بالعقل الراجح، والتفكير الرزين، والقرارات الحكيمة، التي تظهر فى تصرفاتها، وحكمها على الأشخاص، والأحداث، وهذه سمات تميزها عن غيرها من النساء، وتزيد من جاذبية الجميع إليها. (ريهام، 2020).

وفي رواية (غواصو الأحقاف) تحضر صورة المرأة الحكيمة ذات العقل الرزين في شخصية (أم جابر)، وقد منحتها الساردة سمة التجسيد، واستعانت بتقنية الوقفة الوصفية؛ لتوفير تلك السمة، وتتجلى هذه الوقفة فى وصف هذه الشخصية التى اتسمت بحكمة وصبر وعقل، وكيف واجهت موت زوجها بوعى أنثوي، وحكمة راجحة محاولة التغلب على ألم ذكرياته بسرد حكاياتها عن العشيق الذي خطفه الموت في كل حكاية جديدة مشابهة لحكايتها القديمة **"بخلاف الدموع أول عزاء صالح لم تسمح للدنيا بأن ترى ضعفها. بعد اعتيادها غيابه صارت تداوي ذكره عندها بسرد حكايات عشيرها كما رواها لها. وذاكرة أم جابر مليئة بالحكايات، التي وهبتها عقلها الراجح، وغدا فهمها للأحداث ورأيها فيها مرتبطين بنسق الحكايات التي نحفظها. كانت ذاكرتها تحكم رؤيتها لكل شيء، فإذا سمعت خبرا لا تستطيع ربطه بحكايات مشابهة في ذاكرتها ظلت تحوم في مسكنها، تنبش زواياه بحثا عن أي عمل يشغلها، وهذه الطريقة تصقل ذاكرتها وتخلق روابط الذي تحتاجه مع حكايات قديمة، حتى نصائحها التي تتبرع بها قبل أن تطلب لابد أن تسبق أو تختم بحكاية"** (الفاران، 2016 :30).

ومن المقاطع التي تتجلى فيها حكمة أم جابر ورجاحة عقلها ورزانته نصيحتها لجارتها - التي قهرها زوجها بالزوجة الثانية- بعدم التفكير فيه وترك الاهتمام به، فعدم الاهتمام يوجعه، ويوقظ فيه الأحاسيس المدفونة: **" يبكي حل أم جابر الجارة المقهورة أكثر، ولتضرم ناراً أشد في جوفها نهرتها لا تفكري فيه.. والله لوقلت وأنت صادقة في اللعنة التي تلعنه، وتلعن من جاء به لعاد يجري نحوك! ... ترفع وجهها الأحمر المتورم: هل سيختلف صوته وهو يناديها؟ دون أن تنتظر رد أم جابر تنشج، فتمسك هذه بسبابتها وإبهامها خنصر الجارة وتنفضه: (انفضيه نفض الرداء فإن كان فيه نصيب ما غدا)"** (الفاران، 2016 :39). وفي هذا المقطع لجأت الساردة إلى تقنية الوصف للجارة وجهها وصوتها، وتقنية الحوار الذي دار بين أم جابر والجارة المقهورة من زوجها.

وتجسد الروائية الحكمة ورجاحة العقل في شخصية (أم عموش) كذلك عن طريق مقاطع مختلفة، استعانت فيها لتقديم الشخصية بالوصف لوضوحه ومباشرته؛ ولتكشف سمات الشخصية الحكيمة، منها: مشهد نصيحتها لابن ضرتها بالتعاضد مع أخيه، وعدم مضرته بالسخرية والاستهزاء به، وملازمة تكرار اللقب السيء (جعيرش) لعموش.

كذلك نصيحتها لابنها بتملك زمام الرجولة، وعدم الانصياع لاستهزاء الآخرين والاستسلام لاستفزازهم:**" أم عموش صرخت في وجه ابن ضرتها الهارب وضحكاته تفرقع مع تكراره للقلب: أخوك عصابة رأسك.. ذا خيرك له؟! مرق أمامها قبل أن تتم كلامها، لكنها حالت بين ولدها عموش وملاحقته، ثبتت ولدها وتفادت رغبة عارمه في الضحك وهي تنظر لشعره المنتفش. انتحت به في حجرتها ونصحته ألا يشبع رغبة أحد في استفزازه: ما دمت تجن إن رماك أخوك بهذه الكلمة فلن يدعها، وغدا يلتقطها كل غرّ في الجبل ويطاردك بها.. كن رجلاً يا عموش لا تهزه كلمة، ألا ترى أباك؟ (لو أطبقت الخضراء على الغبراء ما بان في وجهه شيء)"** (الفاران، 2016 :13).

وهناك وقفة وصفية تتركز فيها بؤرة الوصف على رزانة العقل ورجاحته عند أم عموش، وإلحاحها على (أبي عموش) بألا يضغط على ولدها وهي التي ترى السعادة في عينيه، وتعلم يقينا عن حبه وتعلقه بزوجته، حتى لا يكابر ويعاند ويخرج إلى العقيق، ويترك سعادته مع حبيبته، بحجة أن حبه لزوجته لا يعيقه عن السفر للتجارة وكسب قوته، كما يفعل الرجال الأفذاذ في زمنه:**" كالعطر في حجر طال هجرها دخلت نفلا بنت صالح وثيل، الساعات التي تقضيها نساء القصر أمام مراياهن امتدت، الأزهار المطرزة في سيقان سراويلهن طالت، زيارات المشاطات لهن تقاربت، أما نبرة أحاديث الرجال فقد تهذبت. كركرة الشابة هدهدت قلق أم عموش، فسعادة ابنها وإن لم يصرح بها تشع في عيونه، صار يلزم حجرته من أول الليل، تكاد تحلف**

أنها رأت وجهه يتغير إن جاء ذكر التجارة، تراهن أباه بفرح بأنه سيتلكأ في الخروج من العقيق، وترجوه: لا تكثروا عليه في المجلس فيصر على الذهاب ليثبت أن حبه لا يعيقه" (الفاران، 2016 :121).

ومن حكمة (أم عموش) مشهد نصيحتها لزوجة ابنها بالبقاء فى بيتها، وعدم الذهاب لبيت أهلها وزوجها على سفر قريب؛ تقديرا له وحفظا لمكانتها في قلبه، فالمرأة التي تحترم وتقدر أوضاع زوجها تكبر في قلبه:" **بعد أسبوعين أرادت أم صالح أن تزور أهلها، لكن أم عموش همست في أذنها بأنه سيغادر خلال يومين، وحين لاحظت أن العروس لم تشأ أن تفهم ما توحي به رجتها صراحة أن تنتظر حتى يذهب"** (الفاران، 2016 :121).

والرأي السديد يتجلى واضحا في مشهد نصيحة (أم عموش) لنفلا بنت صالح زوجة ولدها، ورجائها لها بعدم معاندة زوجها حتى لا تنفصم عرى العلاقة بينهما مع علمها بأن ولدها مخطئ في تعامله معها:" **علقت المهد الجلدي على كتفها الأيمن ونزلت إلى حجرة عمتها، تشكوه لها فتسترضيها العجوز، تعلن أنه مخطئ وأن هذا ليس من حقه، تبكي بنت صالح والعمة تذكر مع ذلك مزايا ولدها، بألم تواجهها نفلا:" كان رجلي وشوقي فقهرني" تضع أم عموش إصبعها على رأس أنف زوجة ابنها: لكني أرجوك يا أم سلمى لا تعانديه"** (الفاران، 2016 :230).

كذلك سداد رأي (أم عموش) الراجح يتجلى في مشهد نصيحتها لنفلا وكشفها لسمات المرأة السعيدة لها:" **يا بنتي المرأة السعيدة لا تحرق كبد امرأة أخرى، ما عليك منها فإن كانت تصدق ما تقوله لك لما أشغلها الله بك وبعموش"** (الفاران، 2016 :129).

ويتجسد الرأي العاقل في شخصية (نفلا) بنت صالح غير التقليدية، وموقفها وردود أفعالها في الرواية كما في مشهد ردها على موقف أخيها جابر من زوجته خفرة، وتوبيخها له لعدم احترامه وتقديره لما تفعله له تلك الزوجة الوفية من حقوق زوجية:" **و تغادر المطبخ فلا تجامله نفلا: والله ما تدري بنت خالك ما تفعل لترضيك، أرجو ألا يؤاخذك الله بما تفعله بها. عينه يحط على شفتي نفلا، ينتظر منها تراجعاً لا تتبرع بها، وبعد لحظه يقول كنت أمازحها. لم تتسامح نفلا من سخرية جابر الأولى مع امرأته: إن كان هذا مزاحاً فأنت تظلم خفرة به كما تقهرها بكثير من صمتك"** (الفاران، 2016 :143).

كذلك يتجلى العقل الرزين والحكمة السديدة في مشهد موقف (نفلا) مع أخيها (جابر) الذي يمر بضنك العيش، وضيقه، تمده بمساعدتها في صمت وهدوء دون أن تحرجه أو تضعف من رجولته، وإنما تسانده بفعلها الحكيم:" **تقبل جبينه، وفي يديه تدس زميمها وحجلها، يفرده أمامه ويترمد وجهه: نفلا.. تغلق فمه براحتها وتسكته برجائها: لا ترد عطيتي.. متى ما فرجها الله عليك هات لي عوض هذه، تضحك وتضيف: الله الله في أثقل منها"** (الفاران، 2016 :198).

ويتبدى العقل وتظهر الرزانة كذلك في مشهد حرص (نفلا) وسعيها للحفاظ على رباط الزواج مع شعورها بالمعاناة والقهر من تهميش عموش لها، فتفتعل الصمت وعدم المبالاة والهدوء مع زوجها، وتبتعد عن سؤاله وجداله، للتأكد من خبر سفره، ومنحه فرصة الحديث معها وإخبارها عن أمر سفره، مع علمها المسبق بذلك الخبر من غيره، ليقينها أن الجدال يعمل على اختلاف القلوب، وكثرته تؤدي إلى نفرة الحبيب، آخذة من حكمة الرسول صلى الله عليه وسلم :" قيل: يا رسول الله، أي النساء خير؟ قال: " **التي تسره إذا نظر، وتطيعه إذا أمر، ولا تخالفه فى نفسها، ولا فى ماله بما يكره"** (النسائي، 1986، :68). يتضح ذلك في حديث نفلا مع عموش: " **يدخل حجرته، تنتظر نفلا منه أن يؤكد خبر سفره الذي سمعته من غيره، يتمدد بانتظار أن تستجوبه، تسقيه بواكير صمت تعلمته منه، يجلس ويناديها لتضفر جديلتيه، وتخيب ظنه مرة أخرى فتضفرها بلا سؤال، يستلقي ويتناوم ثم يستدير لها: أيقظيني قبل الفجر لأني سأذهب"** (الفاران، 2016 :240).

وهناك مشهد حواري يتجلى من خلاله العقل والحكمة والرزانة لشخصية(فرجة) بنت راشد في نصيحتها لنفلا بعدم الانصياع لكلام الوشاة، وتصديق حديثهم دون أن تسمع بنفسها ما ينقل إليها، فتظلم أم فيحان بتصديقها لهم:" **تحضن فرجة صاحبتها لتدير وجهها جهة القصر، تدفعها براحتيها إلى داخله: اذكري الله! تخبرها نفلا بما قالته العمة في ظهرها فتشككها فرجة فيه: أسمعت الكلام بأذنك؟ عرفتك يا نفلا – وأنت طفلة – أعقل البنات، عمتي إن كانت قالته فقد أعطيتها ما أرادت، وإن لم تكن قالته فقد ظلمتها وغدوت لعبة في يد من نقلت لك الكلام"** (الفاران، 2016 :234).

وتظهر الحكمة والرأي السديد، والعقل وحسن التصرف في نصيحة (فرجة) لزوجها فيحان بعدم استسهاله الكلام دون أن يحسب له حساب:" **قالت له امرأته: لا يهمني الصانع قدر ما يعنيني ألا تستسهل قول كلمة لا تحسب لها حسابا ثم تجرك إلى مالا تريد"** (الفاران، 2016 :243).

كذلك تظهر حكمتها وسداد رأيها في معاونة (فيحان) على نفسه الأمّارة بالسوء:" **نهيتك من قبل ولم تطعني، ولو فكرت يا فيحان فيما حصل لعرفت إني أعنتك على نفسك.. – جعلتني في ألسنتهم، فإن فاتك فعل دنيء مرة فلا تجعل الفعل الطيب يفوتك كل مرة"** (الفاران، 2016 :253).

وهكذا نجد أن الساردة تقدم شخصياتها للقارئ؛ ليتعرف إليها من منظورها. وتتحرك أحداث الرواية بوساطة مقاطع متباينة، اعتمدت فيها على المشاهد الحوارية، والوقفات الوصفية؛ لتصوير شخصياتها الرئيسة والثانوية (نفلا وفرجة، وأم جابر وأم عموش)، وكشف طباعها فهي قادرة على تغيير حياتها وحياة من حولها، فهي ذات رأي سديد وعقل راجح حكيم، وبهذا

الرأي وذاك العقل:" **تغير المرأة في الرجل قليلا أو كثيرًا، بإرادتها أو دون أن تدري، وأحيانا دون أن يعرف هو أن كلمتها غيرته**" (الفاران، 2016 :253).

- الثقة بالنفس والاعتداد بالذات وتحمل المسؤولية:

الثقة بالنفس علامة من علامات قوة الشخصية، فثقة الإنسان في نفسه، وقدراته، وإمكانياته في اتخاذ القرارات، وبما يملكه من هبات ربانية تساعده في مواجهة تحديات ومتطلبات وصعاب الحياة، لذا فالثقة بالنفس سر قوة شخصية المرأة.

يتضح ذلك في وصف شخصية (خفرة) التي تقول ما تريده بكل ثقة، ودون أن تتهيب المواقف والأشخاص: " **بدل أن تغضب نفلا تحسد خفرة على قدرتها على قول كل شيء، فزوجة أخيها تترك للكلام أن يتدفق دون تصفيه ما لا يناسب المستمعين، تتخيل نفسها تتحدث بذات السلاسة أمام عموش**" (الفاران، 2016 :142).

وثقة النفس تبدو واضحة في شخصية (نفلا) بنت صالح واعتدادها بذاتها، وبقدرتها على تغيير شخصية عموش، والتأثير فيه. تظهر الساردة هذه الشخصية الرئيسة القوية بوساطة مشهد حواري بينها وبين (أم عموش):" **كلما جف الحكي في حلق أم عموش رجتها نفلا بأن تسرد تفاصيل صباه، والعمة لا يشغلها إلا هاجس واحد ... اثقلي رجله بالعيال.. ولدي كأبيه ظلت الدروب تروح به حتى كثر عياله تنفض نفلا عن روحها المسؤولية قبل أن تسلمه العمة زمامها ... تبوح الأم لنفلا أن غيبات عموش تجعلها تعامله كضيف في أيام حضوره القليلة، تهمس لها: تدرين إن له هيبة عندي أكبر من هيبة أبيه؟ الهيبة تكرر نفلا الكلمة؛ الهيبة التي يربيها عموش لنفسه في صدور الجميع تبعدها عنه، ... تقسم في غيبته هذه أنها ستجبره على أن يتغير ستضطره ليفصح أمام نساء وثيل**" (الفاران، 2016 :132).

كذلك الثقة بالنفس، والإرادة الفاعلة الناهضة بالذات تكشفه الساردة في الوصف الدقيق لتحمل نفلا مسؤولية العمل في البيت مع أمها وثقتها بنفسها، فهي التي تحطب، وتسقي النخل، وتحلب الإبل، وتنظف البيت وتلمع دلال القهوة " **من يرصد يوما واحدا ينتهي ليبدأ من جديد، ما إن ترفع الشمس عن رمل العقيق لحاف العتمة حتى تنهض، تتجه صوب مريفة، تحطب لتعود قبل الضحى، ترتب الحطب في مطبخ أمها، ثم تسقي نخل أهلها، تحصد للغنم فتحلب للإبل، وتختم يومها يعد أن تكنس باحة بيتهم فتتوسط أبويها لتسمع ثناءهما، ولأنه يجلب التعب عن روحها تستدره كما تفرك في دلال القهوة الصدئة لتعيد لها لونها الذهبي**" (الفاران، 2016 :32).

وعليه فالروائية تظهر شخصية نفلا بنت صالح امرأة إيجابية تجد في العمل في بيت أمها وتتحمل مسؤوليته كاملة، فالعمل يؤكد ذاتها واستقلاليتها وحضورها الاجتماعي الذي يكسبها خبرات متعددة: " **الخمول الذي يجثم على روحها في وثيل يفارقها في بيت أهلها، في القصر يساعدها العبيد في كل المهام لكنها تؤديها أعجل وأدق في بيت أهلها؛ تطبخ نيابة عن أمها، وتعدل مجرى الماء من جدول إلى آخر عن جابر، وحلب الإبل عن خفرة**" (الفاران، 2016 :141).

ومهارة البنت في البيت أعتقت أمها من كثير من المسؤوليات باكراً " **يحلفون ألا فتاة في الواحة جمعت الأمرين قبل نفلا ولا بعدها. أمها يبهجها الثناء فتؤكد جدارة ابنتها به: نفلا مباركة.. حتى ولادتها كانت يسرة**"(الفاران، 2016 :31).

وبوساطة الوصف الدقيق لشخصية (نفلا) تؤكد الفاران أهمية قوة المرأة بالعمل فهي متفانية في أداء واجبها، مخلصة قادرة على ممارسة الأنشطة داخل بيتها وخارجه، والمجتمع يحتاج إلى عمل المرأة في كل مكان وزمان، والساردة تخلع على شخصياتها أفكارها الاجتماعية، وقناعاتها، فتحوّل عمل المرأة في بيتها وبيت أهلها إلى نضال يعزز مكانتها، ويصحح المفاهيم السلبية المتعلقة بعمل المرأة داخل بيتها وبيت أهلها وأهل زوجها.

- الأنوثة والجمال ولباقة الحديث.

الأنوثة والرقة لا تحول بين المرأة وقوة الشخصية؛ لأن المرأة القوية امرأة مفعمة بالأنوثة والرقة والحيوية أكثر من غيرها، فالأنوثة والجاذبية علامة من علامات قوة شخصية المرأة.

وتتجلى شخصية المرأة القوية بأنوثتها وجمالها في شخصية (نفلا) التي عرفت بجمالها الذي يفوق نساء الصحراء فأخذت من اسمها الزيادة في كل شيء" **لا يكاد يذكر اسمها في حي آل هذال إلا أردف بانبهار لا يتقادم بجمالها، وانثنى بالعبارة الشهيرة: إن لكل من اسمه نصيب**" (الفاران، 2016 :31).

تستخدم الساردة الوقفة الوصفية ؛ لتشكل عنصرا مهما من عناصر بناء الرواية، تكشف بوساطته جمال أنوثة نفلا وجمال رقصها، صورة غير نمطية أضفت الحيوية والبهجة على أحداث الرواية، وقد لفت هذا الجمال الأنثوي، والتألق النسوي الأنظار إليها فكسبها قوة إيجابية، وقد استخدمت الساردة في تقديم شخصية نفلا الفعل "لفتت، وكبرت، ونبهر، وتؤرخ، ويتجلى ذلك في قولها: " **في حي آل هذال لفتت نفلا الأنظار ممهودة بملامحها الواضحة، وشعرها الكثيف، وحواجبها المزججة، وكبرت لتبهر الحي برقصها، وتؤرخ به نساء الوادي أحداثه**" (الفاران، 2016 :31).

هذه الأنوثة وذاك الجمال الفاتن، والتألق الإيجابي في بناء شخصية نفلا كان مصدرا لجذب (عموش)، وحبه وعشقه لها، ذلك الحب الذي توج بالزواج، وقفة وصفية تستخدم فيها الساردة الجملة الاسمية التي توحي بالثبات -"تحت بدر، ضحكة نفلا، قلبه الذي لم يرتعش، بين البنات يتغير لونها..." - لتصور علاقة رومانسية بين المرأة / نفلا، والرجل / عموش، وتحرك بها أحداث الرواية حركة بطيئة، و تتسع هذه الوقفة الوصفية باستخدام الحوار بين عموش وبنات المسيل " **تحت بدر**

يكاد يكتمل، شّق عمّوش دربه للمسيل، ضحكة نفلا تهديه، وقلبه الذي لم يرتعش في برهوت يضطرب. بين البنات يتغير لونها حين تحس قدومه، تعرف نغمة خطوته في الرمل فلا تلتفت، وتنهي على عجل حكايًة كانت ترويها. ترحب البنات بعّموش وتنداح دائرتهن، يفسحن له أكثر من محل فيختار أن يقابلها، بسبابة يوّد أن ُيقبلها ترسم ابنة صالح خطوطًا عشوائية في الرمل، وإحدى البنات تلح عليه بأن يسمعهن شيئًا من نشيده، يحتج كالعادة بأنه لا يحفظه، وأن ما يتذكره لن يعجبهن. ُتصر إحداهن ّألست من قال:

"يا عينها اليمنى ثامنين خيال ويا عينها اليسرى سيوفٍ صقيلة"؟

ينُكر وصاحبة العينين الآسرتين تختلس النظرات إليه" (الفاران، 2016 :68).

ونقع على هذه الأنوثة الإيجابية في الوقفة الوصفية لنفلا، وتصوير الساردة لها بأنها (أسيرة الإطراء) إذ عرفت بالمرح والطرب والرقص الذي تعجز بقية النساء عن تقليده، وصفها وهي ترقص زاد من جمال أنوثتها وحرك أحداث الرواية معها: **"مع الرقص كانت نفلا أسيرة الإطراء، من يرصد يوميات الصبية يجدها يوماً واحداً ليبدأ من جديد"** (الفاران، 2016 :31).

يزيد هذه الرقة الأنثوية جمالا بالعناية والاهتمام عناية الماشطة مسيكة بها:**" تحتضن العبدة الشابة وتحل ضفائرها، تحرك بمشطها مزيج الورس والورد الطائفي المطيبين، يزفر الإناء طيبه والمشط يقلبه بخفة، ثم تسرح شعرها الطويل وتغني: نفلا مثل شمس الغيم شكن منها الصبايا الضيم"** (الفاران، 2016 :33).

ولهذا الجمال الأنثوي الفاتن، ولحسن اهتمام نفلا بجسدها يحسد الرجال زوجها /عموش **" تقبل نفلا صفراء من نقيع العصفر وجسدها فواح بالورس، تقعد في حضن القينة فينطلق لسانها بتبوءات عن طيب حظ عموش"** (الفاران، 2016 :113).

اهتمامها بأنوثتها وبسكب عطر الورس والعصفر على جسدها زاد من إيجابية المرأة وقوتها، إذ أصبحت مصدر جذب لعموش، وإعجاب لرجال مجلس القصر، يتسابقون للقرب من عموش، واستنشاق رائحتها العطرة الفواحة:**" لو رأيت أخي عموش كيف يجري كل ليلة لروشنه.. أبي يقول إنه عاشق.. والرجال في المجلس كلما دخل عموش تسابقوا للقرب منه.. يمازحونه فينتشقون ثيابه ليشموا طيب الهذالية"** (الفاران، 2016 :123).

جعلت (الفاران) من الصورة الإيجابية للأنوثة مصدر قوة تمارس عن طريقه المرأة سلطتها على الآخر، فجمال الوجه وإثارته البالغة يغير من شخصية الرجل ويربكه:**" جمال نفلا يربك الخال دائما، يراها فيتصنم حتى يجبر نفسه على أن يشيح بنظره ويظل يتبادل معها تحايا يصعب ترتيبها على لسانه"** (الفاران، 2016 :45).

وقفات وصفية دقيقة لهذا الجمال الأنثوي (عيون ناعسة، وأهداب كثيفة، وأسنان متراصة صغيرة، وشعر أحمر ناري)، وبهذا الوصف الدقيق تأسر (الهذالية) نفلا قلب (شافي)، وتتبدى قوتها وسيطرتها على (شافي) وملازمته الصمت والجمود كلما رآها، هنا يبدو الرجل العاشق أكثر استسلاما من المرأة المعشوقة**" أسرته الهذالية بجبتها الدقيقة، وعيونها الناعسة التي تظللها أهداب كثيفة كانت قد تعدته حين نادتها ابنة جيرانهم بتلا فانفرجت شفتا الصبية عن أسنان صغيرة متراصة، ابتعدت فكان آخر ما رآه انعكاس أشعة الشمس على شعر جعلته حمرة الحناء ناريا... يومها عرف شافي نفلا ولعنة الجمود التي تلازمه كلما رآها ... كان شافي قد جدد عهدا لنفسه بأن يحادثها. عدل عمامته، ومن جيبه أخرج علبة طيبه الصغيرة. أولج ميلها الّبق بين شعره الخفيف وشحمة أذنه، فرك نقطًة أخرى بأصبعه ثم مرره على عارضين أملسين، مسد شاربه الخفيف وخرج من مكمنه وسار باتجاهها، أشفق عليه جمعان وهو يراه يسير كمن يقاد لموت أصفر الوجه تائه النظرة، سلمت الهذاليتان عليه وشدت أكبرهما مقنعتها على جيبها. بلسانه اليابس رد بكلمة وهو يومئ برأسه ثم تنحى... لم يكن لدى جمعان شك بأن الجميلة أبهرت صاحبه"** (الفاران، 2016 :50).

هذا الجمال الفاتن الذي وقع في هيامه (شافي) فأضحى يراها في كل قصيدة شعر- حرك النص وأسهم في تتابع سير الأحداث في الرواية **" وشافي مذ وشم قلبه اسم نفلا غدا كل الشعر قصته، في كل قصيدة يرى الهذالية ولا يرى نفسه معها أبدا. في نخيل جيرانهم ينتظر نفلا كل قايلة، ويسابقها لمريفة صبحا وعشية متذرعا بجمع الحطب... سنين يتبع فيها شافي ظل نفلا من النخيل للحطب، يحافظ على مسافة حذفة عصا بين ظلها وخطوته، يسابق عبيدهم على الحطب وعلى العناية بإبلهم ليلقاها هناك"** (الفاران، 2016: 51).

وتؤكد الساردة أن إيجابية المرأة وقوتها تكمن في أنوثتها التي خلقها الله عليها، وقدرتها على الحمل والولادة وما بها من آلام شديدة، مقارنة بالرجل الذي يعجز ببنيته القوية عن حملها**" تشد الأرملة طرف مقنعتها: الرجال؟! ثم تدير وجهها لأم فيحان لتؤكد جملتها التالية "الله خلقهم أقوى" تعترض فرجة: أقوى؟! أيقدر أن يحمل ويلد؟! الرجل إن انغرزت في قدمه شوكة عرج منها يومه كله"** (الفاران، 2016 :213).

ولباقة الحديث أحد أهم العلامات التي تدل على قوة شخصية المرأة؛ لأنها تتقن فن الحديث، وتراقب كلامها جيدا، وتفكر كثيرا قبل الحديث، الأمر الذي يجعلها لبقة مبهرة حين تتحدث، مجبرة الجميع على سماعها واستمتاعهم بلباقتها وحديثها، يظهر ذلك بوساطة مشهد حواري، ووقفة وصفية نقرأها:**" حين ينادي رفيقته: يا بنت! – يا لبيه! تقولها أخت زوج بتلا وتقفز، فتشدها أيديهن فيما هو يتجه لأقصى المسيل، أمها تطوي لها حصيرها الصغير، وحماتها ترشها من عطر، وصديقتها تدس في فمها قرصًا كحبة قهوة هو خليط**

سكر وهيل وزعفران ليطيب أنفاسها" (الفاران، 2016: 144).

مما تقدم يتضح أن الساردة تدفع بالقارئ ليتفاعل معها عبر مشاهد درامية، ووقفات وصفية دقيقة لبناء أبعاد شخصية (نفلا) مظهرها، وملامحها الجسمية، وحركاتها وأفعالها، ولباقة حديثها، تظهر أنوثتها وجمالها ودلالها عن طريق مقاطع مختلفة؛ لتميط اللثام عن شخصية المرأة الإيجابية، وتحرك النص بوساطة هذه الصورة الجسمية.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث الذي تناول نصاً نسوياً سعودياً، تجلت فيه صورة المرأة بشهادة المرأة على زمن الرجل، فأخرجتها من جوانب عدة عكست بوساطتها حقيقة المجتمع السعودي في زمن ما قبل النفط، وقبل الحداثة والتحرر، كما عكست علاقة وتعامل المرأة مع الرجل، فنجد المرأة في رواية (غواصو الأحقاف) كما هي في الحياة والمجتمع لم تركن في الزاوية السلبية فقط كما هي في كثير من الروايات النسوية، إنما تجلت بصور عدة، نفت عن طريقها نمطية التصور بأن عالم الصحراء عالم ذكوري بحت، بل فيه(المرأة المستسلمة، والمرأة المتألمة، والمرأة السلبية، و المرأة الإيجابية).

وقد وقف البحث عند الصورة الأخيرة صورة المرأة الإيجابية القوية في تعاملها مع الرجل، وقد أبدعت الكاتبة في تصوير المرأة؛ لأنها امرأة تتحدث عن خصوصية المرأة، التي يصعب على الرجل الكاتب تصويرها.

وقد تعددت مظاهر إيجابية المرأة في النص الروائي مدار البحث، في مشاهد حوارية ووقفات وصفية، وتجلت هذه الإيجابية في:

1- الحكمة والرزانة ورجاحة العقل، وظهر ذلك في شخصية (أم جابر، وأم عموش، ونفلا، وفرجة).
2- العزيمة والشجاعة والإرادة القوية، والإصرار على تحقيق الطموح، وتجلى ذلك في شخصية (أم جابر، ونفلا، وأم خفره، وفرجة بنت راشد).
3- الثقة بالنفس وإثبات الذات، وتحمل المسؤولية ظهرت بوضوح في شخصية (نفلا، وخفرة).
4- الأنوثة والجمال واللباقة في الحديث تجلى ذلك في شخصية (نفلا).

وفي الختام نحمد الله على تيسيره عمل هذا البحث، ونسأل الله أن يجعله خالصا لوجهه الكريم.

المصادر والمراجع:

المصادر:

الفاران، أمل (2016)، **غواصو الأحقاف**، ط1. بيروت- لبنان: جداول للنشر والترجمة والتوزيع.

المراجع:

بامية، عايدة أديب (1982)، **تطور الأدب القصصي الجزائري 1925-1967**، ط1. الجزائر: ديوان المطبوعات الجامعية.

الجبرين، أمينة بنت عبد الرحمن (2020)، **تجليات الألم في رواية غواصو الأحقاف لأمل الفاران قراءة في سلطة الرجل والمكان**، مجلة الآداب، جامعة الملك سعود.

جيوسي، زياد (2009)، **المرأة في الرواية العربية**، أكاديمية الفينق للأدب العربي.

صبري، عبد الفتاح (2005)، **صورة المرأة في القصة النسائية الإماراتية مقاربة تداولية**، ط1. الجزائر: مشورات اتحاد كتاب وأدباء الإمارات.

الصمادي، وائل علي فالح (2018)، **صورة المرأة في روايات سحر خليفة**، ط1. الأردن- عمان: دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع.

كامل، ريهام (2020)، **أبرز خمس علامات تدل على قوة شخصية المرأة**، مجلة هي، 4 ديسمبر.

محمود، علاء الدين محمود (2020)، **غوّاصو الأحقاف.. أوديسة الصحراء**، الشارقة الخليج: فبراير.

المخضب، خالد (1443)، **غواصو الأحقاف.. "مرثية لزمن الرقص في وجه الموت"، الرياض**.

المدغري، نعيمة هدي (2009)، **النقد النسوي، (حوار المساواة في الفكر والأدب)**، ط1. الرباط: منشورات فكر، دراسات وأبحاث.

معتصم، محمد (2004)، **المرأة والسرد**، ط1. الدار البيضاء: دار الثقافة.

النسائي، أبو عبد الرحمن أحمد بن شعيب بن علي الخراساني، (المتوفي: 303هـ)، (1986)، **السنن الصغرى للنسائي**، تحقيق: عبد الفتاح أبو غدة، باب النكاح، ج6، ط2. حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية.

المراجع الإلكترونية: موقع أمل الفاران http://www.amalfaran.com.